

مَعْرِفَةُ الْمَسِيحِ: أَقْوَالُ يَسُوعَ عَنْ ذَاتِهِ

المحاضرة ٢: نُورُ الْعَالَمِ

أ.ر. سي. سرول

بَيْنَمَا تُتَابِعُ الْآنَ دِرَاسَتَنَا لِأَقْوَالِ يَسُوعَ عَنْ ذَاتِهِ الَّتِي نَجِدُهَا فِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا، سَنُرَكِّزُ انْتِبَاهَنَا الْآنَ عَلَى الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ سِلْسِلَةِ تَصْرِيحَاتِ "أَنَا هُوَ" الْمُتَعَلِّقَةِ بِقَوْلِ يَسُوعَ "أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ". وَفُق تَرْجَمَةَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ الْمَوْضُوعَةِ أَمَامَكَ، قَدْ تَجِدُ هَذَا التَّصْرِيحَ فِي مَكَانٍ مُخْتَلِفٍ قَلِيلًا عَمَّا يَجِدُهُ فِيهِ شَخْصٌ آخَرُ. فِي كِتَابِي الْمُقَدَّسِ، أَجِدُهُ فِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا الْأَصْحَاحِ ٨ وَالآيَةِ ١٢، حَيْثُ نَقَرْنَا "ثُمَّ كَلَّمَهُمْ يَسُوعُ أَيْضًا قَائِلًا: أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتَّبِعُنِي فَلَا يَمِشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ". السَّبَبُ الَّذِي جَعَلَنِي أَذْكَرُ بِشَكْلِ عَابِرٍ أَنَّ هَذَا التَّصْرِيحَ قَدْ يَكُونُ مَوْجُودًا فِي مَكَانٍ آخَرَ فِي كِتَابِكَ الْمُقَدَّسِ هُوَ أَنَّ مَا يَسْبِقُ ذَلِكَ فِي النَّصِّ لَدَيْ هُوَ قِصَّةُ الْمَرْأَةِ الَّتِي أُمْسِكَتْ بِفِعْلِ الزَّيْنِ. فِي الْوَاقِعِ، جَاءَ الْعُنْوَانُ الْفَرَعِيُّ لِهَذَا النَّصِّ فِي تَرْجَمَةِ أُخْرَى كَمَا يَلِي فِي الْأَصْحَاحِ ٨ "زَانِيَةٌ تَوَاجَهُ نُورَ الْعَالَمِ"، لَكِنَّ السَّبَبَ الَّذِي جَعَلَ هَذَا الْأَمْرَ يُشَكِّلُ مُعْضَلَةً هُوَ أَنَّهُ فِي بَعْضِ الْمَخْطُوطَاتِ الْقَدِيمَةِ لَا يَرِدُ هَذَا النَّصُّ فِي بَدَايَةِ الْأَصْحَاحِ ٨. وَبِالتَّالِي، نَشَأَ جَدَلٌ قَدِيمٌ حَوْلَ الْمَكَانِ الَّذِي يَرِدُ فِيهِ ذَلِكَ السَّرْدُ. لَا يُوجَدُ فِعْلِيًّا أَيُّ خِلَافٍ حَوْلَ كَوْنِ هَذَا النَّصِّ رَسُولِيًّا بِالْأَسَاسِ، لَكِنَّهُ يُوجَدُ نِزَاعٌ تَقْنِيٌّ بِشَأْنِ الْمَكَانِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَرِدَ فِيهِ فِي السَّرْدِ. لَكِنَّ الْمَكَانَ الطَّبِيعِيَّ الَّذِي نَجِدُ فِيهِ ذَلِكَ النَّصِّ هُوَ الْأَصْحَاحُ ٨. إِذَا، فَلْتَنَعَمَلْ عَلَى أَسَاسِ الْاِفْتِرَاضِ أَنَّ يَسُوعَ قَالَ هَذَا الْكَلَامَ لِلنَّاسِ بَعْدَ أَنْ جَرُّوا تِلْكَ الْمَرْأَةَ مِنَ الظُّلْمَةِ، وَفَضَّحُوا ذَنْبَهَا أَمَامَ الْجَمِيعِ، وَجَرُّوا خَطِيئَتَهَا، إِذَا جَازَ التَّعْبِيرُ، إِلَى نُورِ التَّهَارِ. وَبَعْدَ أَنْ صَرَفَ يَسُوعَ الْمُشْتَكِينَ عَلَيْهَا وَمَنَحَهَا نِعْمَتَهُ، قَالَ: "أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتَّبِعُنِي فَلَا يَمِشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ".

كَلِمَةُ "نُورٍ" هِيَ وَاحِدَةٌ مِنْ أَهَمِّ الْكَلِمَاتِ فِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا كُلِّهِ. يَسْتَعْمِلُ يُوحَنَّا كَلِمَةَ "نُورٍ"، وَكَلِمَةَ "حَيَاةٍ" مَثَلًا، وَكَلِمَةَ "حَقٌّ" مِرَارًا وَتَكَرَّرًا. لَكِنَّ بِالطَّبِيعِ، لَيْسَ إِنْجِيلُ يُوحَنَّا الْمَكَانَ الْوَحِيدَ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، حَيْثُ نَسْمَعُ أَنَّهُ تَمَّ اسْتِعْمَالُ فِكْرَةِ النُّورِ كَاسْتِعَارَةٍ لِلإِشَارَةِ إِلَى حَقِّ الإِنْجِيلِ وَخِدْمَةِ الْمَسِيحِ، وَإِلَى مَا يَحْدُثُ لِلأَشْخَاصِ الَّذِينَ يُقْبَلُونَ إِلَى الإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ، لِأَنَّهُ يَتِمُّ وَصْفُنَا بِحَالَتِنَا الطَّبِيعِيَّةِ السَّاقِطَةِ عَلَى أَنَّآ أَبْنَاءَ الظُّلْمَةِ. وَبِهَذَا الْمَعْنَى، تُشِيرُ الظُّلْمَةُ إِلَى خَلَلٍ وَعَجْزٍ أَخْلَاقِيٍّ، أَوْ إِلَى فَسَادِ قَلْبِ الْإِنْسَانِ. لَا يَسْعُنِي سِوَى أَنْ أَتَذَكَّرَ رِوَايَةَ جُوزِيفِ كُونَرَادِ الْكَلَّاسِيكِيَّةِ بِعُنْوَانِ "قَلْبُ الظُّلَامِ"، أَيَّ أَنَّ قَلْبَ الظُّلَامِ هُوَ الْقَلْبُ الَّذِي يَعْيشُ فِي حَالَةٍ فَسَادٍ. وَنَتَكَلَّمُ عَنِ الأَعْمَالِ الَّتِي يَتِمُّ ارْتِكَابُهَا فِي الظُّلْمَةِ. الأَشْخَاصُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّلَاحَ لَا يَمِيلُونَ إِلَى الاِخْتِبَاءِ فِي الأَمَاكِنِ الْمُظْلِمَةِ. الظُّلْمَةُ هِيَ الْمَكَانُ الَّذِي تُمَارَسُ فِيهِ خَطَايَا لَا تُوصَفُ لِتَيْتَمَّ إِخْفَاؤُهَا عَنْ أَنْظَارِ النَّاسِ.

وَنَحْنُ نَذْكُرُ إِشْعِيَاءَ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ حِينَ أُعْلِنَ نُبُوَّتَهُ الْمَسِيانِيَّةَ، بِذَلِكَ الَّذِي سَيَأْتِي، بِعَبْدِ الرَّبِّ، قَالَ إِنَّ "الشَّعْبَ السَّالِكِ فِي الظُّلْمَةِ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا". إِذَا، نَحْنُ نَرَى هَذَا الطَّبَاقَ عَبْرَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ نُورُ الْعَالَمِ وَيُشْرِقُ بِبَهَاءِ مَجْدِ نُورِ اللَّهِ نَفْسَهُ لِأَنَّ اللَّهَ يُعْتَبَرُ نُورًا. يُعْتَبَرُ اللَّهُ سَاكِنًا فِي نُورٍ لَا يُدْنِي مِنْهُ، وَهُوَ يُشْرِقُ بِبَهَاءِ مَجْدِ طَبِيعَتِهِ. وَعِنْدَمَا نَرَى اللَّهَ يُعْلِنُ عَنِ نَفْسِهِ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، فَهُوَ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِرَارًا وَتَكَرَّرًا فِي إِطَارِ اخْتِبَارَاتِ النُّورِ الْقَوِيَّةِ.

نَذْكُرُ ظُهُورَ يَسُوعَ لِشَاوُلَ عَلَى طَرِيقِ دِمَشْقَ حِينَ أَعْمَى شَاوُلُ بِنُورِ أَقْوَى مِنْ نُورِ الشَّمْسِ ظُهُرًا. نَذْكُرُ مَثَلًا جَبَلَ التَّجَلِّيِّ حَيْثُ إِنَّهُ، وَلِفَتْرَةٍ وَجِيزَةٍ جَدًّا، بَرَزَتْ أَلُوهُيَّةُ الْمَسِيحِ لِلْعَيَانِ مِنْ خِلَالِ بُرْفُوعِ طَبِيعَتِهِ الْبَشَرِيَّةِ، فَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ وَبَدَأَتْ مَلَابِسُهُ تَتَوَهَّجُ نُورًا، إِذَا جَاَزَ التَّعْبِيرَ، وَأَحَاطَ بِهِ نُورٌ بَاهِرٌ فَسَقَطَ التَّلَامِيذُ عَلَى وُجُوهِهِمْ كَالْأَمْوَاتِ. عِنْدَمَا أَعْلَمُ تَلَامِيذِي ذَلِكَ، وَعِنْدَمَا أُنْعَمَلُ مَعَ شِبَابٍ بِشَكْلِ خَاصٍّ، فَإِنِّي أَطْرَحُ عَلَيْهِمْ بَعْضَ الْأَسْئَلَةِ الْبَسِيطَةِ، وَسَأَسْأَلُ بَعْضَ الْقَوْمِ الْمَوْجُودِينَ هُنَا مَعَنَا الْيَوْمَ. لَدَيْنَا بَعْضُ الشَّبَابِ مِمَّنْ يُتَابِعُونَ دُرُوسَهُمْ فِي الْمَنْزِلِ. أُرِيدُ أَنْ أَكَلِّمَكَ يَا صَمُويلُ، أُرِيدُ أَنْ أَجْعَلَكَ مَشْهُورًا، سَوْفَ أَجْعَلَكَ تَظْهَرُ عَلَى شَاشَةِ التِّلْفَازِ. سَأَطْرَحُ عَلَيْكَ سُؤَالَ بَسِيطًا وَلَنْزِلَ إِنْ كُنْتَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُسَاعِدَنِي هُنَا. مَا هُوَ لَوْنُ الْبُرْتُقَالِ؟ بُرْتُقَالِي، حَسَنًا. هَذَا أَشْبَهُ بِالسُّؤَالِ: "مَنْ دُفِنَ فِي مَقْبَرَةِ جَرَانْتِ؟" صَحِيحٌ؟ وَالآنَ بِسُرْعَةٍ، مَا هُوَ لَوْنُ الْبُرْتُقَالِ؟ وَالآنَ، سَأَسْأَلُ أَحَاكَ الْأَكْبَرَ، تِيمَ، سُؤَالَ أَصْعَبَ بِقَلِيلٍ. مَا هُوَ لَوْنُ الْبُرْتُقَالِ يَا تِيمَ عِنْدَمَا تُظْفَأُ الْأَنْوَارُ؟ مَاذَا؟

تيم: أَسْوَدُ

أَسْوَدُ. شُكْرًا جَزِيلًا، أَسْوَدُ. لِأَنَّ اللَّوْنَ الْبُرْتُقَالِيَّ لَا يُلَازِمُ حَبَّةَ الْفَاكِهَةِ تِلْكَ. لَا تَكُونُ حَبَّةُ الْبُرْتُقَالِ بُرْتُقَالِيَّةً إِلَّا عِنْدَمَا يَكُونُ النُّورُ مُضَاءً، لِأَنَّ اللَّوْنَ لَيْسَ أَمْرًا يَخُصُّ الْقُمْصَانَ أَوْ الْبُلُورَاتِ أَوْ الْأَحْذِيَّةِ أَوْ الْأَشْخَاصِ أَوْ الْأَشْيَاءِ أَوْ الْأَعْرَاضِ. تَظْهَرُ أَلْوَانُ قَوْسِ الْقَرَجِ فِي النُّورِ. وَمَا يَحْدُثُ هُوَ أَنَّ بَعْضَ الْمَوَادِّ تَعْكِسُ أَوْ تَعْكِسُ بَعْضَ الْأَلْوَانِ الْمَوْجُودَةِ فِي مَنْشُورِ الضَّوئِ، أَمَّا غَيْرُهَا فَيَتِمُّ امْتِصَاصُهُ. وَبِالتَّالِي، عِنْدَمَا يَظْهَرُ لَوْنٌ مِثْلُ اللَّوْنِ الْبُرْتُقَالِيَّ مِنْ خِلَالِ حَبَّةِ الْبُرْتُقَالِ فَهُوَ يَظْهَرُ أَمَامَ عِيُونِنَا كَمَا لَوْ أَنَّهُ بُرْتُقَالِيٌّ. لَكِنَّ مِنْ دُونِ مَصْدَرِ النُّورِ، يَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ أَسْوَدًا، لَا وَجُودَ لِلْوْنِ، لِأَنَّ التَّقَاوَةَ تَكْمُنُ فِي النُّورِ نَفْسِهِ.

أَنَا أَتَذَكَّرُ ذَلِكَ كُلَّمَا شَاهَدْتُ ظَاهِرَةَ قَوْسِ الْقَرَجِ فِي السَّمَاءِ، حَيْثُ تَرَى الْمَنْشُورَ يَمْتَدُّ عَلَى شَكْلِ قَوْسٍ، كَقَوْسٍ فِي السَّمَاءِ يُظْهَرُ لَنَا جَمَالَ اللَّوْنِ الْمَوْجُودِ فِي النُّورِ. وَعِنْدَمَا يَتَكَلَّمُ التَّلَامِيذُ عَنِ تَذَكُّرِهِمْ لِلتَّجَلِّيِّ حَيْثُ ظَهَرَ نُورُ الْأَلُوهُيَّةِ مِنْ دَاخِلِ الْمَسِيحِ، هُوَ لَمْ يَعْكِسْهُ بَلْ كَانَ النُّورُ مُنْبَثِقًا مِنْهُ. خِلَافًا لِمُوسَى الَّذِي لَمَعَ وَجْهُهُ بَعْدَ أَنْ رَأَى وَرَاءَ اللَّهِ، عِنْدئِذٍ، بَدَأَ وَجْهُ مُوسَى يَلْمَعُ. لَكِنَّ مُوسَى كَانَ يَشْعُ بِفِعْلِ الْمَجْدِ الْمُنْعَكِسِ وَلَيْسَ بِفِعْلِ الْمَجْدِ الْكَامِنِ فِي جَوْهَرِهِ

أَوِ الْمُتَأَصِّلِ فِيهِ. عِنْدَمَا بَدَأَ الْمَسِيحُ يَبْرُزُ لِلْعَيَانِ بِالنُّورِ عِنْدَ جَبَلِ التَّجَلِّيِ فَهُوَ كَانَ يُظْهِرُ مَجْدَهُ الْخَاصَّ، وَلَيْسَ مَجْدًا مَعْكُوسًا بَلْ مَجْدَهُ الدَّاخِيَّ. لِذَا قَالَ التَّلَامِيذُ وَحَتَّى يُوحِنَا نَفْسَهُ "وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لَوَحِيدٍ مِنَ الْآبِ".

بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ لَيْسَ قَبْلَ الْأَصْحَاحِ ٨ مِنْ إِنْجِيلِ يُوحَنَّا نَقْرَأُ أَنَّ يَسُوعَ سَمَّى نَفْسَهُ نُورَ الْعَالَمِ، إِلَّا أَنَّهُ تَمَّ وَصْفُهُ كَذَلِكَ سَابِقًا عَلَى لِسَانِ كَاتِبِ الْإِنْجِيلِ نَفْسِهِ. ارْجِعْ إِلَى بَدَايَةِ إِنْجِيلِ يُوحَنَّا، إِلَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ "فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ. هَذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللَّهِ. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِعَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ. فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ، وَالنُّورُ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ". لَا يُوجَدُ مَقْطَعٌ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ كُلِّهِ يُؤَكِّدُ بوضوحٍ عَلَى أُلُوهُيَّةِ الْمَسِيحِ أَكْثَرَ مِنْ مُقَدِّمَةِ إِنْجِيلِ يُوحَنَّا. مَكْتُوبٌ عَنِ الْأَفْنُومِ الثَّانِي، اللُّوجُوسِ، إِنَّهُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْبَدْءِ، وَإِنَّهُ كَانَ هُوَ اللَّهُ، وَإِنَّهُ أَيْضًا خَالِقُ كُلِّ الْأَشْيَاءِ، وَإِنَّ لَا شَيْءَ أَتَى إِلَى الْوُجُودِ إِلَّا بِقُوَّةِ اللُّوجُوسِ. ثُمَّ نَقْرَأُ: "فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ". وَالنُّورُ الَّذِي يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ عَلَى أَنَّهُ اللُّوجُوسُ نَفْسُهُ، مَصْدَرُ النُّورِ الْمُطْلَقِ، هُوَ مَا جَاءَ إِلَى هَذَا الْعَالَمِ. وَالنُّورُ الْعَظِيمُ الَّذِي جَاءَ وَسَطَ الظُّلْمَةِ لَمْ يُدْرِكْهُ أَهْلُ الظُّلْمَةِ. وَيَتَابِعُ يُوحَنَّا قَائِلًا "كَانَ إِنْسَانٌ مَرْسَلٌ مِنَ اللَّهِ اسْمُهُ يُوحَنَّا". إِنَّهُ يُشِيرُ إِلَى يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ. "هَذَا جَاءَ لِلشَّهَادَةِ لِيَشْهَدَ لِلنُّورِ، لِكَيْ يُؤْمِنَ الْكُلُّ بِوَأَسْطَتِهِ. لَمْ يَكُنْ هُوَ النُّورَ، بَلْ لِيَشْهَدَ لِلنُّورِ. كَانَ النُّورُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِيًا إِلَى الْعَالَمِ".

هَذِهِ الاسْتِعَارَةُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالنُّورِ وَالظُّلْمَةِ لَا تُوجَدُ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ أَوْ فِي الْكِتَابَاتِ الْمَسِيحِيَّةِ فَحَسَبَ، لَكِنَّهَا مَوْجُودَةٌ فِي مَصَادِرَ وَفَلَسَفَاتٍ أُخْرَى. وَهِيَ كَانَتْ طَبْعًا وَاحِدَةً مِنَ الاسْتِعَارَاتِ الْمُفَضَّلَةِ لَدَى الْفِيلَسُوفِ أَفْلَاطُونِ. قَدْ يَتَدَكَّرُ الْبَعْضُ مِنْكُمْ مِنْ خِلَالِ دِرَاسَاتِكُمْ فِي الْجَامِعَةِ أَوْ حَتَّى فِي الثَّانَوِيَّةِ الْعَامَّةِ أَنَّهُمْ قَرَأُوا عَنْ كِتَابِ "جُمْهُورِيَّةِ" أَفْلَاطُونِ، حَيْثُ أوردَ أَفْلَاطُونُ تَشَابُهًا أَوْ مَثَلًا شَهِيرًا يُخْبِرُ قِصَّةَ عَبِيدٍ تَمَّ احْتِجَازُهُمْ فِي كَهْفٍ. وَكَانَتْ نَارٌ خَافَتُهُ مُشْتَعِلَةٌ دَاخِلَ الْكَهْفِ، لَكِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ مَرْبُوطِينَ هُنَاكَ، وَالنُّورُ الْوَحِيدُ الَّذِي كَانَ لَدَيْهِمْ هُوَ نُورٌ خَافَتْ يَعْكِسُ ظِلَالًا عَلَى جِدَارِ الْكَهْفِ. وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا مَوْجُودِينَ فِي ذَلِكَ الْكَهْفِ الْمُظْلِمِ وَفِيهِ نُورٌ خَافَتْ لَمْ يَرَوْا سِوَى ظِلَالٍ، وَلَمْ يَرَوْا الْوَاقِعَ بِوضوحٍ. وَسَمَّى أَفْلَاطُونُ تِلْكَ الظَّلَالِ الْمَتَرَاقِصَةَ عَلَى حَائِطِ الْكَهْفِ بِالْأَرَاءِ. وَهُوَ يَرَى ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ أَقْلٌ مِنَ الْمَعْرِفَةِ الْحَقِيقِيَّةِ. وَيَقُولُ أَفْلَاطُونُ فِي مَثَلِهِ إِنَّهُ لِكَيْ يَكْتَسِبَ الْإِنْسَانُ الْمَعْرِفَةَ الْحَقِيقِيَّةَ عَلَيْهِ الْخُرُوجُ مِنَ الْكَهْفِ وَمِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى شَمْسِ الظَّهِيرَةِ، حَيْثُ إِنَّهُ عَلَى ضَوْءِ الشَّمْسِ الْمُشْرِقَةِ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَرَى الْأَشْيَاءَ عَلَى حَقِيقَتِهَا، وَفِي سِيَاقِ الضُّوءِ وَحْدَهُ يُمَكِّنُ مَعْرِفَةَ الْحَقِيقَةِ لِكَيْ تَكْتَسِبَ الْمَعْرِفَةَ. وَكُلُّ شَيْءٍ آخَرَ هُوَ أُمُورٌ تَفَرِّبِيَّةٌ قَاتِمَةٌ وَمُجَرَّدُ آرَاءٍ لَا تَهْمُ فِعْلًا. هَذِهِ هِيَ فِلْسَفَةُ أَفْلَاطُونِ.

مَا أَهْمِيَّةُ ذَلِكَ بِالنَّسْبَةِ لِلْمَسِيحِيَّةِ؟ فِي الْقَرْنِ الثَّانِي، تَحَدَّثَ الْمُدْفِعُ عَنِ الْإِيمَانِ الْمَسِيحِيِّ يوستينوس الشهيد عَنْ ذَلِكَ لَيْسَ فَقَطْ أَنَّنَا نَجِدُ الْحَقَّ حَصْرًا فِي الْمَصَادِرِ الَّتِي يُعْطِينَا إِيَّاهَا اللَّهُ مِنْ خِلالِ مُوسَى وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، وَإِنَّمَا نُورُ الْحَقِّ الْإِلَهِيِّ يَسْطَعُ مِنْ خِلالِ الْحَلِيقَةِ. إِذْ يَقُولُ لَنَا بُولُسُ فِي الْأَصْحَاحِ ١ مِنْ رِسَالَةِ رُومِيَّةٍ، إِنَّ إِعْلَانَ اللَّهِ لَا يَأْتِي مِنْ خِلالِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ فَحَسْبُ، بَلْ أَيْضًا مِنْ خِلالِ الطَّبِيعَةِ حَيْثُ "السَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللَّهِ، وَالْقَلْبُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ". وَيَتَابِعُ يوستينوس الشهيد قَائِلًا إِنَّ بَعْضَ الْأَشْخَاصِ، حَتَّى غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، يُكَوِّنُونَ لَمَحَةً عَنِ الْوَاقِعِ. لَذَا يُمَكِّنُ لِأَشْخَاصٍ غَيْرِ مُؤْمِنِينَ أَنْ يَكُونُوا أَطِبَّاءَ وَعُلَمَاءَ رِيَاضِيَّاتٍ وَيَبُولُوجِيِّينَ فَعَالِينَ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، لِأَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ مِنْ خِلالِ نُورِ الطَّبِيعَةِ، وَيُمَكِّنُ لِنُورِ الطَّبِيعَةِ أَنْ يُعْلِنَ حَقَائِقَ مُعَيَّنَةً. إِذَا، يُمَكِّنُنَا أَنْ نَرْجِعَ إِلَى الْوَرَاءِ وَأَنْ نَنْبَهَرَ بِأَرَاءِ أَفْلَاطُونِ، وَأَنْ نَنْبَهَرَ بِأَرَاءِ شَيْشُرُونَ، وَأَنْ نَنْبَهَرَ بِأَرَاءِ أَرِسْطُو، وَكَانَ يوستينوس الشهيد يَقُولُ إِنَّهُمْ يَسْتَمِدُّونَ تِلْكَ الْمَعْرِفَةَ، آيَةً مَعْرِفَةٍ قِيَمَةٍ تَجِدُهَا لَدَى أَفْلَاطُونِ تَأْتِي فِي نِهَآيَةِ الْمَطَافِ مِنَ الْمَصْدَرِ الْأَسْمَى لِلنُّورِ، أَلَا وَهُوَ الْمَسِيحُ. الْمَسِيحُ هُوَ مَنْ يُبِيرُ لِكُلِّ مَنْ يَأْتِي إِلَى الْعَالَمِ. بِتَعْبِيرٍ آخَرَ، مِنْ دُونِ نُورِ نِعْمَةِ اللَّهِ الْمُعْطَى لِلْعَالَمِ مِنْ خِلالِ الْمَسِيحِ لَا يُوجَدُ شَيْءٌ سِوَى الْجَهْلِ، لَا شَيْءٌ سِوَى الظُّلْمَةِ. لَكِنَّ حَتَّى غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ يَشْتَرِكُونَ فِي بَعْضِ الْفَوَائِدِ النَّاتِجَةِ عَنِ النُّورِ الَّذِي آتَى إِلَى الْعَالَمِ. حَتَّى عِنْدَمَا تَرْفُضُ ذَلِكَ النُّورَ فَإِنَّنَا نَنْظُرُ نَشْرَكَ فِي فَوَائِدِ ذَلِكَ النُّورِ.

أَنَا أَظُنُّ أَيْضًا أَنَّهُ مِنَ الْمُهِّمِّ أَنْ نُدْرِكَ أَنَّنَا حِينَ نَرْجِعُ إِلَى سَرْدِ قِصَّةِ الْخُلُقِ فِي الصَّفْحَةِ الْأُولَى مِنَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، نَقْرَأُ أَنَّهُ فِي الْبَدءِ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ. ثُمَّ نَقْرَأُ "وَكَانَتِ الْأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً، وَعَلَى وَجْهِ الْعُمْرِ ظُلْمَةٌ". إِذَا، الْكُونُ غَيْرِ الْمُنْتَظَمِ الَّذِي يَصِفُهُ اللَّهُ فِي الْأَصْحَاحِ الْأَوَّلِ مِنَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، وَقَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ عَمَلَ الْخُلُقِ كَانَ خَرِبًا وَبِلَا سَكَلٍ. لَا نَجِدُ فِيهِ إِلَّا الْفِرَاقَ وَالظُّلْمَةَ. وَفَكَّرُوا فِي تِلْكَ الْاسْتِعَارَاتِ الثَّلَاثِ: الْخَرَابُ، وَالْفِرَاقُ، وَالظُّلْمَةُ. هَذِهِ كُلُّهَا كَلِمَاتٌ تَبْدُو سَلْبِيَّةً وَمُنْذِرَةً بِالسُّوءِ فِي مُفْرَدَاتِنَا. لَكِنَّ مَا هُوَ أَوَّلُ عَمَلِ خُلُقٍ؟ الرُّوحُ يَرِفُ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ. وَقَالَ اللَّهُ: "لِيَكُنْ نُورٌ"، وَفِي الْحَالِ، كَانَ نُورٌ. إِذَا، أَوَّلُ عَمَلٍ قَامَ بِهِ اللَّهُ فِي الْخُلُقِ هُوَ جَلْبُ نُورٍ إِلَى كَوْنِ مِيَةٍ بِالظُّلْمَةِ بَعِيدًا عَنْهُ. وَهُوَ نَفْسُهُ تَمَّ وَصْفُهُ، كَمَا ذَكَرْتُ، عَلَى أَنَّهُ نُورٌ. هَذِهِ هِيَ بَدَآيَةُ الْإِعْلَانِ الْكِتَابِيِّ. عِنْدَمَا نَصِلُ إِلَى نِهَآيَةِ الْإِعْلَانِ الْكِتَابِيِّ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ فِي سَفَرِ الرُّؤْيَا، وَنَقْرَأُ فِي الْأَصْحَاحَاتِ الْأَخِيرَةِ مِنْ سَفَرِ الرُّؤْيَا الْوَصْفَ الْحَيِّ الَّذِي يُعْطِينَا إِيَّاهُ يُوْحِنَّا حِينَ كَانَ مَنْفِيًّا إِلَى جَزِيرَةِ بَطْمُسَ وَشَاهَدَ رُؤْيَا دَاخِلَ السَّمَاءِ وَرَأَى سَمَاءً جَدِيدَةً وَأَرْضًا جَدِيدَةً، وَأُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ، وَوَصَفَ الْجُزْءَ الدَاخِلِيَّ مِنَ الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ. وَقَالَ إِنَّهُ لَا يُوجَدُ نُورٌ هُنَاكَ وَلَا شَمْسٌ، لِمَاذَا؟ لِأَنَّ مَجْدَ اللَّهِ، وَابْنَ اللَّهِ، يُضِيئَانِ السَّمَاوِيَّاتِ. وَلَا يُوجَدُ لَيْلٌ، لِأَنَّ حُضُورَ اللَّهِ يُشْرِقُ بِنُورِهِ بِاسْتِمْرَارٍ. وَهَذَا مَا يَصِفُهُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ عَلَى أَنَّهُ مَجْدُ اللَّهِ، بِهِاءَ تَفَائِهِ السَّاطِعِ وَإِشْرَافِهِ يَأْتِينَا مِنْ خِلالِ النُّورِ.

إِذَا، هَذَا كُلُّهُ مَوْجُودٌ فِي كَلَامِ يَسُوعَ هُنَا حِينَ يَقُولُ "أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. [وَإِنْ تَبِعْتُمُونِي] مَنْ يَتَّبِعُنِي فَلَا يَمَشِي فِي الظُّلْمَةِ، بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ". أَلَيْسَ مِنَ اللَّافِتِ أَنَّهُ فِي مُفْرَدَاتِنَا الشَّائِعَةِ عِنْدَمَا يُقْبَلُ أَحَدُهُمْ إِلَى الْمَسِيحِ نَقُولُ إِنَّهُ أَبْصَرَ

النور، لَأَنَّهُ كَانَ مَعْمِيًّا عَنْ أُمُورِ اللَّهِ. كَانَ الْإِيمَانُ يَبْدُو غَيْرَ ضَرُورِيٍّ وَعَيْرَ مَنْطِقِيٍّ وَمُتَطَرِّفٍ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ، وَعَدِيمِ الأَهْمِيَّةِ. وَفَجْأَةً، عِنْدَمَا تَفْتَحُ عُيُونَكُمْ وَتَرَوْنَ حَلَاوَةَ بَهَاءِ الْمَسِيحِ الْكَامِلَةَ تَتَغَيَّرُ كُلُّ الْأَشْيَاءِ. "الأشياء العتيقة قد مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا" لِأَنَّكُمْ تَرَوْنَ الْآنَ مَا لَمْ تَرَوْهُ أَبَدًا مِنْ قَبْلُ.

الْمَكَانُ الْآخِرُ الَّذِي يُسَمَّى فِيهِ يَسُوعُ نَفْسَهُ نُورَ الْعَالَمِ هُوَ فِي سِيَاقِ شَفَائِهِ الرَّجُلَ الْأَعْمَى مُنْذُ الْوِلَادَةِ، لِأَنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ فَتَحَ عَيْنَيْهِ وَأَبْصَرَ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى. وَرُبَّمَا أَوَّلُ مَا أَبْصَرَهُ هُوَ "نُورُ الْعَالَمِ" الَّذِي وَهَبَهُ الْبَصَرَ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ. عِنْدَمَا أَعْلَنَ يَسُوعُ ذَلِكَ الْأَمْرَ فِي الْأَصْحَاحِ ٨، اسْمَعُوا كَيْفَ جَاءَ الرَّدُّ الْيَهُودِيَّ.

فَقَالَ لَهُ الْفَرِّسِيُّونَ: أَنْتَ تَشْهَدُ لِنَفْسِكَ. شَهَادَتُكَ لَيْسَتْ حَقًّا. أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: وَإِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي حَقٌّ، لِأَنِّي أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتُ وَإِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَا تَعْلَمُونَ مِنْ أَيْنَ آتَيْتُ وَلَا إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ. أَنْتُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ تَدِينُونَ أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ أَدِينُ أَحَدًا. وَإِنْ كُنْتُ أَنَا أَدِينُ فَدِينُونِي حَقًّا، لِأَنِّي لَسْتُ وَحْدِي، بَلْ أَنَا وَالآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي. وَأَيْضًا فِي نَامُوسِكُمْ مَكْتُوبٌ أَنَّ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ حَقٌّ: أَنَا هُوَ الشَّاهِدُ لِنَفْسِي وَيَشْهَدُ لِي الْآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي. فَقَالُوا لَهُ: أَيْنَ هُوَ أَبُوكَ؟ أَجَابَ يَسُوعُ: لَسْتُمُ تَعْرِفُونِي أَنَا وَلَا أَبِي. لَوْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمُ أَبِي أَيْضًا.

أَتَرَوْنَ مَا يَجْرِي هُنَا؟ بِحَسَبِ الشَّرِيعَةِ الْيَهُودِيَّةِ، عِنْدَمَا تُعْطَى شَهَادَةٌ أَوْ إِعْلَانًا مَا، لِيَكُنْ تَكُونُ قَانُونِيَّةً، يَجِبُ أَنْ يُؤَكَّدَ عَلَيْهَا مَصْدَرٌ آخَرٌ. يَجِبُ أَنْ تَحْطَى بِمُوَافَقَةِ شَاهِدَيْنِ عَلَى الْأَقْل. وَهُنَا، تَرَى يَسُوعَ يَقُولُ "أَنَا نُورُ الْعَالَمِ"، فَيُجِيبُ الْفَرِّسِيُّونَ: "لا، لَسْتَ كَذَلِكَ! مَنْ تَظُنُّ نَفْسَكَ لِيَكُنْ تُعْلِنُ أَمْرًا مُمَاطِلًا مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِكَ؟ مَا مِنْ شَخْصٍ آخَرَ يَدْعَمُ كَلَامَكَ. مَا مِنْ شَخْصٍ آخَرَ يُؤَكِّدُ عَلَيْهِ أَوْ يُثَبِّتُ صِحَّةَ هَذَا الْإِعْلَانِ الْعَجِيبِ الَّذِي تَقُومُ بِهِ". فَقَالَ يَسُوعُ: "لَسْتُ أَحْتَاجُ إِلَى تَأْيِيدِ أَيِّ أَحَدٍ لِأَنِّي أَعْلَمُ مَنْ أَكُونُ، أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ جِئْتُ وَإِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ". هَذَا كَلَامٌ مُذْهِلٌ فِعْلًا.

مَرَّةً أُخْرَى، وَمِثْلَمَا فَعَلَ حِينَ قَالَ إِنَّهُ خُبْرُ الْحَيَاةِ، أَشَارَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي جَاءَ مِنْهُ. هَذِهِ هِيَ الشَّهَادَةُ الْمَطْلُوبَةُ عَلَى الأَرْضِ. يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لَدَيْكَ شُهُودٌ يُؤَيِّدُونَكَ، لَكِنْ عِنْدَمَا يَتَكَلَّمُ اللَّهُ، لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَأْيِيدِ بَشَرِيٍّ. أَنَا أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ جِئْتُ، أَنَا جِئْتُ مِنْ فَوْقِ، وَسَأَعُودُ إِلَى هُنَاكَ. وَإِنْ كُنْتُمْ تُصْرُونَ عَلَى وُجُودِ شَهَادَتَيْنِ فَدَعُونِي أَدْكُرْكُمْ بِأَنَّ شَهَادَتِي لِذَاتِي لَيْسَتْ أَمْرًا أَفْعَلُهُ بِمُفْرَدِي، بَلِ الْآبُ يَشْهَدُ لِي. وَإِنْ أَصْعَيْتُمْ إِلَى أَبِي فَسَتُصْعُونَ إِلَيَّ. أَيْنَ يَحْدُثُ ذَلِكَ؟ نَحْنُ نَصَادِفُهُ بِطَرِيقِ مُخْتَلِفَةٍ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ. نَصَادِفُهُ فِي مَعْمُودِيَّةِ يَسُوعَ حِينَ يَتَكَلَّمُ الْآبُ بِصَوْتٍ مَسْمُوعٍ مِنَ السَّمَاءِ "هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ". وَجَاءَ فِي مَرْجِعِ آخَرَ "هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ. لَهُ اسْمَعُوا". نَدْكُرُ نِيْفُودِيمُوسَ فِي الْأَصْحَاحِ ٣ مِنْ إِنْجِيلِ يُوحَنَّا حِينَ جَاءَ إِلَى يَسُوعَ لَيْلًا قَائِلًا: "يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ مِنَ اللَّهِ مُعَلِّمًا، لِأَنَّ لَيْسَ أَحَدًا يَقْدِرُ أَنْ يَعْمَلَ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي أَنْتَ تَعْمَلُ". وَبِالْإِتْمَانِ، مُعْجَزَاتُ يَسُوعَ، وَالْآيَاتُ الَّتِي يَصْنَعُهَا تَعَكِّسُ شَهَادَةَ

اللَّهُ وَتَأْكِيدَهُ وَتَأْيِيدَهُ لِمُصَدَّقِيَّةِ كَلَامِ يَسُوعَ. وَهَكَذَا، يَقُولُ يَسُوعُ "مَهَلًا، لَسْتُ وَحْدِي مَنْ يَشْهَدُ بِأَنِّي نُورُ الْعَالَمِ، بَلْ أَبِي الَّذِي أَرْسَلَنِي يَشْهَدُ أَيْضًا عَلَيَّ هَذَا الْحَقُّ".

الدكتور أ.ز. سي. سبرول هو مؤسس هيئة خدمات ليجونير، وكان أحد رعاة كنيسة القديس أندرو (St. Andrews Chapel) في مدينة سانفورد بولاية فلوريدا، كما كان أول رئيس لكلية الكتاب المقدس للإصلاح (Reformation Bible College). وهو ألفت أكثر من مائة كتاب، بما في ذلك "كُنَّا لاهوتيين" (*Everyone's A Theologian*).